مقال

سُلّم الثقافة العصرية

هنادي رضا قرقاب

مركز الشيخ علي الغريّاني للكتاب

" الثقافة هي ما يبقى بعد أن تنسى كل ما تعلمته في المدرسة "

- البرت اينشتاين.

اليـوم.. بعـد أن صـارت الثقافـةُ علمًـا فضـلاً عـن أنَّ العِلـمَ ثقافـة؛ صارت الثقافةُ كلمةً واسـعة المضمون رغم ضيق المعنى، وهِي شاسـعة لا يحدُّها مـكانٌ ولا زمـانٌ، ولا تتفـرّدُ بهـا أقوامٌ دون أخـرى ولا مواضيـعٌ دون غيرها لما لهـا من أطوارٍ فِـي تتبُّعهـا دهاليزٌ تقـودكَ ولا تُعيدك.

لذلـك اكتفـي بالتعريـفِ الـذي رسـى عليـهِ عقلـي لمـا فيـهِ مـن توغُّـلٍ فـي المعنـى والمضمون، وهـي: أن تتفكَّر وتتعقَّـل. فترنو لـلإدراكِ، وتغمرَ عقلكَ لا بالمعلومـات فقـط وإنّما باسـتدراكِ أجزاءِ الكـونِ البديع. فتتخـذ دربًا تُنير بـهِ فكـركَ وتغـذّي بـهِ لُبَّك وتكـون توّاقًـا لهوفًـا لمعرفـةِ كلِّ شـيء، ولو أنَّ حتميّـة إدراكِ (كل) شـيء معدمـة، إلا أنَّ التـوق لفهم وتعلُّم ومعرفة شـتَّى المكنونـاتِ مـن حولك فـي حدِّ ذاتـه سـبيلٌ للثقافة.

وكمـا أسـلفتُ القول بأنّها واسـعة المعنى والأطوار فلا أعنـي هُنا بطبيعة الحالِ عموميّتها إنّمـا الاختصاص فيها.

فاللغـات ثقافـة، والمجتمعـات والبيئـات ثقافـة، والآدابُ ثقافـة، والعلومُ ثقافة.

وفـي المعنـى العـامِّ الشـعبيِّ يُعـرَّفُ المثقّـف بالشـخص الّذي يسـتطيعُ خـوض غمـارِ أيِّ حديثٍ عن أيِّ شـيء، مسـتندًا على الحجج ومسـتدلاً بالأدلّة، وهـذا مـا أجزتَـه بعـدَ سـؤالي عن ماهيّـة المثقـف لعـددٍ من الأشـخاصِ من مختلـفِ الأجنـاس الفكريّة.

قديمًـا، كان فهمُ المعلومات والاطلاعِ على المعـارفِ يتطلَّبُ مجهودًا كبيرًا جـدًّا لبلوغهـا، ناهيكَ عن الترحـالِ والترحُّل بحثًا عن مصادرهـا، فكانت صعبةَ النُّشـودِ محصورةَ الوجود. لذا كانَ لأولي الألبـابِ والعارفينَ والعلماءِ قدرهم الكبيـر، أما اليـوم في عصرِنا التِّقنـيّ صارت المعلومةُ محـضُ « قوقلة « على الإنترنـت. مـع ذلـك فإنِّي أستنكرُ سـطحيّة الفكرِ وخـواء العقل، لـذا أرى أنّه مـن الضـروريِّ أن نسـتفيد مـن هـذه التقنيات فـي الاحاطـةِ بالممكـنِ الذي

يسـقي لهفةَ الإدراكِ لدينـا قبل ذبولها.

قبـل سـنواتٍ كُنـت (دودة كُتـب) كمـا يقـال عن الشـغوفين بالقـراءة، لذا توجَّهـتُ بالنُّصح لزملائي في المدرسـة الإعداديّة والثانويّة بقـراءةِ الكتب لما فيهـا مـن تغذيـة فكريـةٍ وتسـليةٍ وعجـبٍ عجـاب، إلا أنَّ جيلي مـن مُعاصري السُّـرعة ربَّمـا يتململـونَ مـن الصفحـاتِ المتكدِّسـة المتراصَّـةِ السـطور، ويتكاسـلون عنهـا، وقـد وصفهـا بعضهم بالصعبـة بينما وصفهـا البعضُ بهـدر الوقـت! فكان لا بدَّ مـن التدرُّج فيها حتّى الشـغف بها، لـذا اقترحتُ في ثلاثـةِ مراحـل أسـلوبًا تدرُّجيًا ممتعًـا يقـودكَ لا محالة إلى حبِّ الاطـلاع وتوقِ المعرفة.

- **المرحلة الأولى: التسلية :-**

- مُلخصات الكتب على اليوتيوب:

من المعروف أنَّ اليوتيوب موسـوعة مرئية مسـموعة شـاملة، لذا سـتجدُ فيهـا العديد من المقالات والملخصات والأبحـاث في طريقةٍ ماتعة العرض، ممّـا يسـهِّلُ عليـكَ اكتسـاب المعلومـات والاطـلاع على الثقافـات بيُسـرٍ ومتعـة، ولكـن حـذاري مـن عـدم التأكد مـن صحَّـةِ المصـادرِ وإلا سيتسـمَّمُ زادُك المعرفيّ.

- البودكاسـت: وهـو حيـن لا تجـد وقتًـا أو رغبـةً لمشـاهدة فيديوهـات طويلـة، فتسـتطع ببسـاطة اسـتبدالها بمقاطـعٍ مسـموعة لمواضيع شـتّى وحـوارات قيّمـة بينمـا تنشـغلُ بـأي شـيءٍ آخـر كالقيـادة والطبخ والتمشـي.....

- المسلسـلات والأفـلام الوثائقيـة: فـي المسلسـلات الوثائقيـة عـن المواضيع التّي تثير اهتمامك متعة كبيرة جدًا، وحالما ستبدأ بمشاهدتها سـتدمنها ربَّمـا أكثر مـن الأنواع الأخـرى، وذلـك لأنَّ في المعرفةِ نشـوةٌ جميلـة دائمـةٌ مسـتدامة عوضًـا عـن المشـاعر المؤقتـة المصاحبـة لتصنيفـات الآكشـن والدرامـا والكوميديـا وغيرها.

مـع ذلك، وجـب التنويه أنَّ فـي هذه الوسـائل الثلاث خطرٌ يسـتوجب الحَذر؛ لمـا فيهـا مـن معلومـاتٍ مغلوطـة ومشـوَّهة، والغـرضُ الأساسـيُّ منهـا إيقـاظُ شـعلة الشـغفِ بالمعرفـة والثقافةِ لا غيـر، ولا يصحُّ جعلهـا مصدرًا أساسـيًا للتـزوُّد، إلا إذا كُنـت متأكـدًا من مصادرهـا وصحّتها.

المَرحلة الثانية : الاهتمام :-

- الأبحـاث والمقالات على الانترنـت : جرِّب أن تبحث في المصادر الموثوقة عمَّا تبحثهُ على محركات البحث، مثلاً : لماذا لون السـحابِ أبيض، بدلاً من قـراءةِ مقالٍ موجـز يحتمل الخطأ علـى ويكيبيديا جرِّب قـراءة بحثٍ علميّ لباحـثٍ ما، سـتجدُ فيه متعـةً كبيرة. أو قـراءة مقالةٍ عـن المجتمع الليبيّ مثـلاً لكاتـبٍ ما.. سـتجد مـن جزالـةِ اللفـظِ والمعنـى وصحَّـةِ المعلومةِ وانسـيابيّتها ما يجعلك تدمـن حتمًا عليها.

- الصُّحـف والجرائـد: وهـي المرحلـة التِّـي تلـي البحـث عـن موضـوعٍ يثيـر اهتمامـك إلـى قـراءةِ أيِّ موضـوعٍ أمامك، وفيـه مغامرةٌ شـيّقة ومُمتعة مـن استكشـافِ جوانـبٍ جديـدة لَـم تكن تهتـمُّ لهـا وربّما تصير مـن أوّل اهتماماتـك!. كمـا وأنّ الصحـف والجرائـد متنوعة المضاميـن ،ومتعددة العناويـن؛ ممّـا لا يقـودك للضجر.

- الروايـات والقصـص الصوتيـة: وهي مـن أكثر الأسـاليب التِّي تشـوِّقكَ لقـراءةِ الروايـةِ أو القصّـة، خاصـةً إذا كان الملقي ماهرًا في تنكُّـرهِ بنبراتِ الشـخصيات حسـب الموقفِ والمعنى.

وفـي هـذه المرحلة تدريبٌ عمليّ على القراءة وتشـويقٌ نفسـيّ لها، وبمجرّد سـلكك لهـذه المرحلة لن تحتمـل قطعًا عدمَ الانتقـال للتي تليها.

المرحلة الثالثة : الشغف :-

- الـPDF : إذا كنـت مبتدئًا في القـراءة أنصحك بالبدء بالكتـب الالكترونيّة، وذلـك لسـهولة تصفّحهـا واعتيـادكَ علـى أسـلوبها، فلـن يختلـفَ الأمر معهـا علـى تصفُّـح الـtimeline علـى مواقـع التواصـل الاجتماعـيّ مثل فيسـبوك، لـذا سـتَقرأ كمًّا أكبـر في وقـتٍ أقل.

- مجموعـات القُـرَّاء ومشـاريع إعـداد القـراء : مجموعات القـراء العامة صـارت مهمّـة فـي وقتنـا الحاضـر لأيِّ قـارئ مبتـدئ، لأنَّهـا تحـثُّ علـى القـراءة لما فيها من ترشـيحات وتقييمات وتقارير وأعـداد متزايدة يوميًا مـن القـرّاء الجُـدد وتبايـن المسـتويات، إلا أنَّ المجموعـات الخاصـة في الدردشـات التـي تحوي عددًا صغيـرًا من أصدقاءك ومعارفـك المهتمين بالقراءة فيها متعة أكبر من شـأنها تشـجيعك على الاسـتمرار. كما وأنَّ مشـاريع إعداد القُرَّاء ستسـاعدكَ كثيـرًا لمنهجيّتها السـليمة في إعداد القارئ وشـحذ ذائقته.

- نـوادي القـراءة : رغـم قلّتهـا فـي مجتمعنـا الليبـيّ إلا أنّهـا تسـهم في اسـتدامةِ شـغفكَ للقراءة، لما فيها من جوانب مرئية وسمعية وحسيّة واجتماعيـة، كمـا وأنهـا تسـاعدك علـى تكوين رأيـك الخاص ومناقشـتهِ منميّـة عـدَّة جوانب في شـخصيّتك.

والآن.. لا أسـمِّي شـعور التَّلـذُّذ بالقـراءة بالمرحلـة الرابعـة، فهُنـا.. صارت القـراءةُ كمـا يقال (منكَ وفيك)، حيث سـتبدأُ رحلتكَ في عَالـمِ الكُتب، والذي حالمـا تلجهُ سـتنتمي لـهُ وتتأصَّلُ فيه، وبمجـرد بلوغك لهذه المرحلة سـتجدُ نفسـكَ شـخصًا آخر، لأنَّ الكتاب يهـذِّبُ النفس وينمِّي العقـل ويفجِّرُ براكينًا مُتَّقـدة للمزيـد والمزيد فـي عالمِه الفريد.

أخيـرًا : كونـك قارئًـا لا يعني بالضرورة أنَّـك مثقّف، ولكن كونـك مثقّفًا يجزمُ أنّك قارئ.

لـذا، لتتّخذ القـراءة بنوعيها العصريّ والأصليّ مسـلكًا للثقافة، واطَّلع على الوجود، فالعالمُ حولكَ شاسـعٌ واسـعٌ، والعمرُ قصيرٌ متسـارع، لذا أُحرص ألّا تغـادره فارغًا، وأن تستكشـفه وتتحسَّـس عظمة خالقهِ وإبداعـه، وأن تُدرك قدر المسـتطاعِ منه.